﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الدُّخان: 58 - 59]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

أُنْـزِلَ القرآن الكريمُ ليُتفَهَّم ويُتَذَكَّر به ويُعتَبَر

لمّا قدَّم سبحانه في هذه السّورة ما للقرآن مِن البركة بما اشتملَ عليه مِن البشارة والنِّذارة والجمعِ والفرقِ، وذكَّرهُم بما يُقِرّون به مِن أنَّه سبحانه خالقُ هذا الكون ممّا يستلزم إقرارَهُم بتوحيده؛ لأنَّه يفعلُ ما يشاء؛ مِن إرسالٍ وإنزالٍ وتنبيهٍ وبعثٍ وغير ذلك، وهدَّدهُم بما لا يقدر عليه غيرُه مِن الدُّخان والبطشة، وفعَلَ بَعْضَ ذلك، وذكَّرهُم بما يَعْرِفون مِن أخبارِ مَن مضى مِن قروم القرون، وأنَّهم مع ذلك كلِّه أنكروا البعْثَ، ثمَّ ذكر ما يقتضي التَّحذيرَ والتَّبشيرَ، كلُّ ذلك في أساليبَ فَأَتَتْ كلَّ المدى، فأعجَزَت جميع القوَى، مع ما لها مِن المعاني الباهرة، والبدائع الزّاهرة القاهرة[1]؛ لمّا كان ذلك كذلك؛ وصلَ سبحانه ذلك ببيانِ أنَّه إنَّما أنْزَلَ القرآنَ بلغة العرب؛ كَيْ يفهموا فيتذكَّروا ويَعْتَبِروا ويعمَلوا بما فيه[2].

وعلى الرَّغم مِن هذا الوضوح والبيان؛ كَفَر بعضُهم وعانَدَ وخالفَ، فسلَّى اللّه رسوله ﷺ، ووعدَهُ بالنَّصر، وتوعَّدَ مَن كذَّبه بالهلاك[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾: (يسر) تدلُّ تصريفاتُها على انفتاحِ شيءٍ وخِفَّته[4]، ومِنْهُ: اليُسْر واليُسُر؛ وهوَ السُّهولة، نقيض العُسْرِ والمَشَقَّة،

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 55/ 8.
(2) القنَّوجي، فتح البيان: 12/ 414.
(3) الزحيلي، التَّفسير المنير: 25/ 243، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 607، والدرَّة، تفسير القرآن وإعرابه وبيانه: 8/ 693.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (يسر).

واليُسر: يوصف به الإنسان والفَرَس؛ إذا كان ليِّن الانقياد[1]، واليُسرَى: السَّهل، وقد يسَّره الله لليُسرى؛ أي: وفَّقه لها، وتيسَّر كذا واستيسر؛ أي: تسهَّل وتهيَّأ، وكذلك يسَّر الشَّيء: سهَّله وهيَّأه، وهو ضدُّ تعسَّر والتوى، واليَسير والميسور: الشَّيء السَّهل، وهو ضدُّ العسير والمعسور، واليسير: الشَّيء القليل، وشيءٌ يسير: هيِّن[2]، والتَّيسير: التَّسهيل، يقال: يَسَّر الأمرَ: إذا سهَّله ولم يُعَسِّرْه، سواء على نفسِه أم على غيره، وهو مأخوذٌ من اليُسْر، أي: السَّهل، ومعناه: اللِّينُ والانْقِيادُ[3]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: سهَّلنا القرآن[4].

2) ﴿بِلِسَانِكَ﴾: (لسن) تدلُّ اشتقاقاتُها على طولٍ لطيفٍ غيرِ بائنٍ في عضوٍ أو غيره[5]، ومِنْهُ: اللِّسان؛ وهوَ جارحةُ الكلام وقوَّتها، واللِّسانُ يُذكَّر ويُؤنَّث، فإن ذُكِّر جُمِع على ألسِنة، وإن أُنِّث جُمِعَ على ألسُن، واللِّسن واللِّسان: اللُّغة، يقال: لكلِّ قوم لِسان ولِسْن؛ أي: لغة، واللَّسَن: الفصاحة، وقد لَسِنَ، فهو لَسِنٌ وألسَنُ، وقومٌ لُسْنٌ، يقال: رجل لَسِنٌ بيِّنُ اللَّسَنِ، إذا كان ذا بيانٍ وفصاحة[6]، وقوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: 22]؛ "فاختلافُ الألسنة إشارةٌ إلى اختلاف اللُّغات، وإلى اختلاف النَّغمات، فإنَّ لكلِّ إنسانٍ نغمةٌ مخصوصةٌ يُميِّزها السَّمع"[7]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: بلُغَتِك[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُبيِّن المولى ﷻ في ختام هذه السّورة الكريمة أنَّه قد يسَّرَ وسهَّل تلاوةَ القرآن الكريم وفهمَهُ بلُغة نبيِّه ﷺ؛ الَّتي هي أعلى وأفصحُ اللُّغات على الإطلاق؛ وذلك ليتَّعظ هؤلاء المشركون بما في القرآن مِن عِبَرٍ وهدايات، ثمَّ يسلِّي الله تعالى نبيَّه ﷺ بعد ذلك فيأمره

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (يسر).
(2) الجوهري، الصحاح، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (يسر).
(3) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (يسر).
(4) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 237، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 155.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لسن).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (لسن).
(7) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (لسن).
(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 155.

سبحانه بأن ينتظرَ ما وعدَهُ به من الخير والنَّصر، وما سيحلُّ بهؤلاء المشركين من العذاب إن لَم يُؤْمِنوا؛ لأنَّهم مُنْتَظِرون ما يحلُّ بالنَّبيِّ ﷺ وبدَعْوَتِه وبالمؤمنين من الدَّوائر[1].

بيانُ الحكمةِ من تسهيلِ فَهمِ القرآن الكريم

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾:

الفاء في قولِه تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ دالَّةٌ على التَّفريعِ؛ للإيماء إلى أنَّ ما بعدها متفرِّعٌ عمّا قبلها؛ إذِ المذكورُ بعد الفاءِ وردَ إجمالًا لِما تقدَّم من أغراض السّورة ومقاصِدِها بعد تفصيلها فيما تقدَّمَ "إحضارًا لتلك الأغراض وضبطًا لترتُّب علَّتها"[2]؛ إذ كان "تذكيرًا لما سلفَ مشروحًا فيها"[3].

إجمالُ ما تقدَّم من مقاصِدِ السّورة وأغراضِها

"والمعنى: أنَّه تعالى وصفَ القرآن في أوَّل هذه السّورة بكونه كتابًا مبينًا؛ أي: كثيرَ البيان والفائدة، وذكر في خاتمتها ما يؤكِّد ذلك، فقال: إنَّ ذلك الكتابَ المبينَ الكثيرَ الفائدة إنَّما يسَّرناه بلسانك؛ أي: إنَّما أنزلناه عربيًّا بلُغتك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾"[4]؛ أي: "كي يفهمَه قومُك ويتذكَّروا ويعمَلوا بموجبه، وإذا لم يفعلوا ذلكَ ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾"[5].

سرُّ إيثار القصر بـ(إنَّما) دون غيره:

القصرُ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ قصرُ قلبٍ، وهو ردٌّ على المشركين؛ إذ

الرَّدُّ على الكافرين في زعمِهم، وبيانُ قُبحِ صَنيعِهم

قد سهَّل الله سبحانه لهم طريقَ فهمَ القرآن بفصاحتِه وبلاغته؛ فقابلوهُ بالشَّكِّ والهُزْء كما قصَّهُ الله في أوَّل السّورة بقوله سبحانه: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ [الدخان: 9].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 242، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 774.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 320.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 135.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 667.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 66/ 8.

وقد أوثِرَ القصر بـ(إنَّما)؛ لأنَّ القصر بها يكونُ فيما لا يُنْكِرُه المخاطَب، ويحسُنُ المجيءُ به في التَّعريض[1]، وهو مناسبٌ لهذا المَوْضِع، والمعنى: ما يسَّرناهُ إلّا بلسانك[2].

دلالة التَّعبير بالماضي ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾:

التَّأكيدُ على عربيَّةِ القرآنِ الكريمِ

جاء التَّعبير بالماضي في قوله تعالى: ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾ لإفادة التَّحقُّق، وفيه نوعُ توكيدٍ مِن حيث الإخبارُ بفعلٍ مضى عن أمرٍ قد وقعَ وانقضَى، وهذا يُشير إلى أنَّ هذا القرآن قد قدَّرَهُ الله تعالى عربيًّا في اللَّوح المحفوظ قبل نُزولِه؛ ففيه ردٌّ على المشركين الذين اقترحوا أن يكون القرآن أعجميًّا أو بعضُهُ بلُغة العرب وبعضُهُ بلُغة العجم.

بيانُ مرجِعِ الضَّمير في ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾:

الضَّميرُ عائدٌ على القرآن؛ لبيانِ فضلِ الكريم المنّان

الهاء في ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾ عائدةٌ إلى الكتاب المبين؛ وهو القرآن الكريم، وهو مفهومٌ مِن المقام، ومذكورٌ في أوَّل السّورة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: 2 - 3]، وقد كان جُلُّ غرض السّورة في إثبات إنزاله مِن الله سبحانه كما أشار إليه افتتاحُها بالحروف المقطَّعة[3].

معنى الباء ودلالتُها في ﴿بِلِسَانِكَ﴾:

لا يفارق لغةَ القرآنِ اليُسرُ

الأصلُ في معنى (الباء) أنَّه موضوعٌ للدَّلالة على الإلصاق، حقيقيًّا كان أم مجازيًّا[4]، وهو في قوله تعالى: ﴿بِلِسَانِكَ﴾ للإلصاق المجازيِّ، فكأنَّ التَّيسير قد التصقَ بالعربيَّة التي نزلَ بها القرآنُ الكريمُ، فلا يكادُ يُفارِقُها، ويَشْهَدُ لهُ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: 17]، أو لتضمين (يَسَّرْنا)

(1) السامرائي، معاني النحو: 2/ 250 - 251.
(2) محمد أبو موسى، آل حم (الشورى، الزخرف، الدخان)، ص: 699.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 320.
(4) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزمخشري، المفصل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 474، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 19.

معنى: أنزلنا؛ أي: يسَّرناه مُنزِلين له بلُغتك[1]، وهذا مِن عظيم رحمة الله تعالى بعباده.

ويحتَملُ أن تكونَ الباءُ للمصاحبة[2]، أو للسَّببية؛ أي: بسبب لُغَتِكَ وهي العربيَّة[3]، ودلالتُها على الإلصاقِ أقرَبُ.

نوعُ الإضافة ودلالتُها في ﴿بِلِسَانِكَ﴾:

زيادةُ تشريفِ المكانةِ النَّبويَّة

الإضافةُ في قوله تعالى: ﴿بِلِسَانِكَ﴾ معنويَّة، وفي إضافة اللِّسان إلى ضمير النَّبيِّ ﷺ عنايةٌ بجنابهِ وتعظيمٌ له ﷺ، وإلّا فاللِّسان لسانُ العرب، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: 4][4].

وفي هذه الإضافة أيضًا دليلٌ على أنَّ النَّبيِّ ﷺ هو أفصحُ قومِه، وقومُه هم أفصحُ العرب لغةً، وأعلاهُم بيانًا، وفيه أيضًا تشريفٌ لهذا الرَّسول المكرَّم ﷺ حيث لم يُرسِلْه الله تعالى إلى قومه فحسب، بل إلى النّاس جميعًا، ومع ذلك جعلَ القرآن - وهو الرِّسالة الخاتمة - بلُغتِه هو ﷺ، وهذه ذروةٌ في التَّشريف والتَّكريم[5].

بلاغة المجاز المرسَل في التَّعبير عن اللُّغة باللِّسان في ﴿يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾:

المجازُ لإرادة القول البليغ، والإشارةُ لوسيلة التَّبليغ

في قوله تعالى: ﴿يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ مجازٌ مرسَلٌ علاقتُه الآليَّة؛ حيث أُطلِق اللِّسان وهو اسمُ الجارحة المعروفة في الفم، وآلةُ النُّطق والبيان، وأُريدَ به أهمُّ ما يُستَعمَل فيه اللِّسان؛ وهو الكلام، كما قال الله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشُّعراء: 195][6].

وفي هذا المجاز إشارةٌ إلى وسيلةٍ مِن أهمِّ وسائل الدَّعوة إلى

(1) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 459.
(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 13/ 137.
(3) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 259، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 320، والدرَّة، تفسير القرآن وإعرابه وبيانه: 8/ 693.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 320.
(5) محمد أبو موسى، آل حم (الشورى، الزخرف، الدخان)، ص: 697.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 320، والهرري، حدائق الروح والريحان: 26/ 400.

اللّه تعالى؛ وهو اللِّسانُ الفصيحُ المُبين؛ فبِه يبلِّغ الدّاعية دعوتَه إلى الآخرين، وبه يُجادلهم ويُحاورهم، ويشهد له قولُ موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص: 34]، وفيه كذلك أمرٌ مِن طرَفٍ خفيٍّ إلى كلِّ داعية أن يتعهَّدَ منطقَه وبيانَه؛ ليقومَ بالدَّعوة على خيرِ وجهٍ وأكْمَلِه.

كما أنَّ في هذا المجازِ إشارةً إلى أثر البيان، وتلك البلاغةِ في الدَّعوة إلى اللّه سبحانه، فهذا البيانُ ركيزةٌ رئيسةٌ في الدّاعية، ومِن أهمِّ الصِّفات التي ينبغي أن يكون عليها، ويتحتَّم هذا الأمرُ إذا كان الدّاعية في قومٍ يفخرون بالبيان ويشتهرون به، كما هو حالُ كُفّار قريش الذين نزلَ عليهم القرآن بهذا اللِّسان العربيِّ المبين[1].

وفيه إشارةٌ أيضًا إلى أنَّه لو أسمَعَهُم اللّه ﷻ وتقدَّسَ وتعالى كلامَهُ بغير واسطةٍ لماتوا جميعًا؛ لعَدَمِ قدرتهم على التَّحمُّل، كما قال جعفر الصّادق رحمه اللّه: لولا تيسير القرآن؛ لما قَدِر أحدٌ مِن خلق اللّه أن يتلفَّظ بحرفٍ مِنه[2].

معنى (لعلَّ) ودلالتُها في ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

لعلَّ للإيجاب أو للتَّعليل؛ تنبيهًا إلى أنَّ التَّذكرة دواءُ كلِّ عليل

أصل معنى (لعلَّ) هو دلالتُها على التَّرجِّي والرَّجاء، لكنَّ هذا الحرف يُستَعمَل مرَّةً على الإيجاب والإلزام، ومرَّةً على النَّهي؛ كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الشُّعراء: 3]، أي: لا تبخع نفسك، وقوله سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ [هود: 12]؛ أي: لا تترك بعضَ ما يوحى إليك، وذلك جارٍ في اللُّغة؛ يقول الرَّجُل لآخر: لعلَّك فاعلٌ كذا؛ أي: لا تفعل، ونحوه، و(لعلَّ) مِن اللّه يحتمل الإيجاب والإلزام والنَّهي، ومِن الخلْق: يُحمَل على النَّهي والتَّرجِّي[3].

(1) عبد العزيز العمّار، التَّصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، ص: 54.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 26/ 401.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السُّنة: 7/ 471.

و(لعلَّ) في قوله تعالى: في ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ مستعمَلةٌ في التَّعليل؛ أي: لأجل أن يتذكَّروا به، وهذا كقوله سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الأحقاف: 12][1].

وعلى القول بأنَّ كلَّ (لعلَّ) مِن اللَّه واجبة[2]، فإنَّ معنى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أنَّه قد حصل لهم التَّذكُّر والاعتبار، فمنهُم مَن نفعتهُ الذِّكرى فآمنَ واهتدى، ومنهم مَن مشى مُكِبًّا على وجهه، واستحبَّ العمَى على الهُدى!

بيانُ عَودِ الضَّمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾:

يجوزُ عَودُ الضَّمير إلى معيَّنين أو عُموم المخاطَبين

يصحُّ عَودُ الهاء مِن قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إلى معيَّنين؛ وهم المشركون، والمعنى: "ليتذكَّر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك إليهم بعِبَرِه وحُجَجه، ويتَّعظوا بعِظاته، ويتفكَّروا في آياته إذا أنتَ تتلوهُ عليهم، فيُنِيبوا إلى طاعة ربِّهم، ويُذعِنوا للحقِّ عند تَبَيُّنِهم إيّاه"[3].

ويصحُّ أن يعود الضَّمير على عموم المخاطَبين بالدَّعوة، والمعنى: ليَفهَمهُ قومُك فيتذكَّروا[4].

نكتة التَّعبير بالمسند الفعليِّ ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾، ودلالةُ مجيئِهِ مضارعًا:

أُنزِلَ القرآنُ ليتَّعظَ بهِ الكافرون، ويزدادَ إيمانًا بِهِ المؤمنون

جاء التَّعبير بالمسند الفعليِّ في قوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ لتقوية الحُكم، والسِّرُّ في إفادة التَّعبير بالمسند الفعليِّ تقويةَ الحُكم هو: تكرُّرُ الإسناد؛ لأنَّ الفعل ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ قد أُسنِد مرَّتين: مرَّةً إلى ما حلَّ محلَّ المبتدأ وهو الضَّمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾، ومرَّةً إلى ضميره، وهو واو الجماعة في ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾، فهو بمثابة التَّعبير بجملةٍ فعليَّةٍ مكرَّرة، فيقوَى الحكمُ ويثبُتُ في الذِّهن[5].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 321.
(2) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن: 1/ 108.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 56.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 283.
(5) حسن عبد الرازق، البلاغة الصافية، ص: 125، وحسن طبل، علم المعاني، ص: 125.

وتجري هذه الصِّياغةُ في المقامات التي تدعو إلى التَّوكيد والتَّقرير مثل مواجهة الشَّكِّ في نفس المخاطَب، وردِّ الدَّعوى التي يدَّعيها، وغير ذلك مِن مقامات التَّقرير[1].

وجيء به مضارعًا؛ ليدلَّ على تجدُّد هذا التَّذكُّر؛ ليكونَ مواكبًا مسيرةَ الإنسان في هذه الدُّنيا، فيبقى على صلةٍ دائمةٍ بربِّه، وليُشيرَ إلى أنَّ حصولَ التَّذكُّر أمرٌ متجدِّدٌ ومتكرِّرٌ بتكرُّرِ نزولِ القرآن - مدَّةَ الوحي - وبتكرُّر تلاوته استهداءً به إلى يوم القيامة.

سرُّ إيثار التَّعبير بالتَّذكُّر دون غيره:

القرآنُ يذكِّر الإنسانَ بما نَسِيَهُ بسبب إغواءِ الشَّيطان

أصلُ الذُّكر: خلافُ النِّسيان[2]، وتدلُّ مادَّته على قوَّةٍ وصلابة[3]، والذِّكرُ تارةً يُقالُ باعتبار هيئةٍ للنَّفس بها يتمكَّنُ الإنسانُ مِن حفظ ما يقتنيه مِن المعارف، فهو كالحفظ، إلّا أنَّ الفرقَ بينهُما أنَّ الذِّكرَ يُقالُ باعتبار حُضورِه بالقلب وباللِّسان، ومنه قيل: الذِّكرُ ذِكران؛ ذِكرٌ بالقلب وذِكرٌ باللِّسان، وكلٌّ منهما على نوعَيْن: ذِكرٍ عن نسيان، وذكرٍ لا عن نسيان، بل يقال باعتبار إدامةِ الحفظ[4].

وصيغُ (التَّذكير) و (التَّذكُّر) تصلح لما هو ضدُّ النِّسيان، وتصلحُ أيضًا لمعنى الوعظ وهو منه؛ لأنَّه إذا تذكَّر فحريٌّ أن يزدَجر، كقوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: 201][5].

وقد أوثِرَ التَّعبير بالتَّذكُّر دون غيره في تعليلِ تيسير القرآن بلغة العدنان ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ لِما في الذِّكر مِن مخالفة النِّسيان، وهذا النِّسيانُ قد جُبِلَ عليه الإنسان، حتَّى قيل:

(1) محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص: 220.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).
(3) محمد حسن محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (ذكر).
(4) الرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (ذكر).
(5) محمد حسن محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (ذكر).

"إنَّما سُمِّيَ الإنسان؛ لأنَّه عُهِدَ إليه فنسي"[1]، فكان هذا القرآنُ تذكيرًا لهم بما نسوه مِن الفطرة التي فطرَهُم اللّه تعالى عليها مِن التَّوحيد بسبب إغواء الشَّيطان لهم، كما قال سبحانه: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾ [المجادلة: 19]، فإذا ما تذكَّروا؛ حصلَ لهم الاتِّعاظُ والاعتبار.

والمعنى: أن يتذكَّروا أنَّ هذا القرآن شاهدٌ بإعجازه بصحَّة ما فيه مِن التَّوحيد والرِّسالة وغيرهما ممّا سبق إليك وتُلِيَ عليك، وإلّا لَقَدروا هُم - وهُم أفصحُ النّاس - على معارضة شيءٍ منه؛ فيتذكَّروا ما غفلوا عنه[2].

معنى الفاء ودلالتُها في ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ هي الفصيحة؛ لأنَّها تُفصح عن شرطٍ مقدَّر، والتَّقدير: وإذا بَقوْا مُصرِّين على كُفرِهم وعِنادهم، ولم يتَّعظوا ولم يؤمنوا؛ فارتَقِب[3].

نصرةُ النَّبيِّ ﷺ على أهلِ الكُفْرِ قريبٌ

وقد أفادت هذه الفاءُ التَّفريعَ عمّا سبق؛ حيث إنَّه بَعْدَ تقدُّم بيان عقوبةِ الكافرين ومثوبة المتَّقين، وبيان أنَّ المنَّة حصلت بنزول القرآنِ عربيًّا ليسهُل فهمُه وإدراكُ معانيه، وأنَّه إنَّما كان ميسَّرًا لكونه بأفصح اللُّغات ولكونه على لسانِ أفضلِ الرُّسل ﷺ؛ فباعتبار كلِّ هذه المعاني المتوافرةِ حسُنَ أن يُفرَّعَ على هذه الجملة تأييدُ النَّبيِّ ﷺ وتهديدُ مُعانديه بقوله سبحانه: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾؛ أي: فارتقب النَّصر الذي سألته بأنْ تُعانَ عليهم بسِنين شدادٍ كسِنِيِّ يوسف عليه السلام؛ فإنَّهم مرتقبون ذلك وأشدَّ منه، وهو البَطْشَةُ الكُبْرى[4].

(1) عبد الرزاق الصنعاني، تفسير القرآن: 2/ 378.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 55/ 18.
(3) الدُّرَّة، تفسير القرآن وإعرابه: 8/ 694، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 137، ومحمود صافي، الجدول: 13/ 138.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 322.

والعطفُ بها هنا "يشير إلى أنَّ الأمر بين النَّبيِّ ﷺ وقومه لم ينته إلى نهايته بعدُ، وأنَّهم مازالوا في هذا الامتحان مع القرآن الكريم، فلينتظر النَّبيُّ ﷺ ما يكون منهم، وليصبرْ على أذاهم، ولا ييأسْ مِن استجابتهم له، وذلك لأنَّهم ﴿مُّرْتَقِبُونَ﴾ لم يقطعوا برأيٍ بعدُ فيما يدعوهم إليه، وإنْ كانوا مقيمين على كِبْرٍ وعِناد"[1].

الغرضُ من الأمر ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾:

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ للحثِّ والإرشاد بالصَّبر على تكذيب المشركين وعلى أذاهُم حتَّى يأتيَ الخَلاصُ مِن عند الله سبحانه وبحمده، فالمعنى: فانتظر أنتَ يا أكمَلَ الرُّسل ما وعدكَ به ربُّك ﷻ مِن النَّصر على هؤلاء المشركين، وارتقبْ نزولَ العذاب بهم؛ فإنَّهم منتظرون قهرَكَ وغَلَبَتك بزعمِهم[2]، وسوف "يعلمونَ لَمن يكونُ النَّصرُ والظَّفَرُ وعُلوُّ الكلمة في الدُّنيا والآخرة؛ فإنَّها لك يا مُحمَّد ولإخوانكَ مِن النَّبيِّينَ والمرسَلين ومَن اتَّبعكُم مِن المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: 21]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: 51 - 52]"[3].

الأمـرُ للحثِّ والإرشاد لانتظارِ الفرَجِ مِن ربِّ العباد

علَّةُ فصلِ قوله: ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾:

فُصِل قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ عن سابقه لِما بينهما مِن شِبهِ كمالِ الاتِّصال؛ إذ هو استئنافٌ بيانيٌّ مبنيٌّ على سؤالٍ مقدَّر، وهو: لماذا يُؤمَرُ النَّبيُّ ﷺ بالارتقاب؟ فالجواب: ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾، فهذه الجملة الكريمةُ تعليلٌ لسابقتها[4].

في رؤية المقادير عِبرةٌ للعارفين، ومَوعظةٌ للمتَّقين

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 218.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 70/ 21، وابن الجوزي، زاد المسير: 4/ 95، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 155 - 156.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 263.

(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 137، ومحمود صافي، الجدول: 13/ 138.

نكتةُ التَّوكيد بـ(إنَّ):

التَّوكيدُ لردِّ إنكار الكُفّار، ودفعِ تكذيب المجرمين الفُجّار

جاء قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ مؤكَّدًا بـ(إنَّ)؛ لأنَّ هذه الآية موصولةٌ بما جاء في أوَّل السّورة عن القرآن، وموصولةٌ بالحديث عن المعالَجين في السّورة وهُم أئمَّة الكفر والشِّرك إبّان التَّنزيل، باعتبارِ أنَّهُم كذَّبوا بالقرآن كتابًا مِن عند الله؛ فجاء التَّوكيد لردِّ التَّكذيب، ودفعِ الإنكار[1].

دلالة التَّعبير بالمشتقِّ ﴿مُّرْتَقِبُونَ﴾:

شُغِلوا بما لا يستطيعون؛ فظلّوا في غيِّهم يعمَهون

قولهُ تعالى: ﴿مُّرْتَقِبُونَ﴾ جمعُ مرتقب، وهو اسمُ فاعلٍ مِن الفعل (يرتَقِب)[2]، وقد جيء به للدَّلالة على الثَّبات والدَّوام؛ أي أنَّ تكليفَهُم أنفسَهم المراقبةَ، وإجهادَهُم أفكارَهُم في ذلك أمرٌ دائمٌ لا يُزايِلُهم، بل قد قطعَ قلوبَهم وملأ صدورهم[3]!

نكتة حذفِ معمول الفعل ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾، ومتعلَّق المشتقِّ ﴿مُّرْتَقِبُونَ﴾:

يظلُّ الكافرون يرتقبون، ولكن لا يـرونَ إلّا ما يكرهون

حُذِف معمول الفعل ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾، ومتعلَّق المشتقِّ ﴿مُّرْتَقِبُونَ﴾ للعلم بهما مِن السِّياق، أو للتَّوسُّع، فقد ذُكِر فيهما أقوالٌ كثيرةٌ محتمَلة[4]، وفي هذا الحذفِ إيجازٌ بليغ، واختصار بديع، مع ما أدَّى إليه مِن رعاية الفاصلةِ.

بلاغة جناس الاشتقاق بين ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ و﴿مُّرْتَقِبُونَ﴾:

تَناسُبُ الألفاظِ لهُ أثَرٌ في إصْغاءِ النُّفوس إليها

جاء جناسُ الاشتقاق بين ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ و﴿مُّرْتَقِبُونَ﴾ لحمل النَّفس على الإصغاء؛ فمناسبةُ الألفاظ تُحدِث مَيلًا وإصغاء إليها، ولأنَّ اللَّفظ المشترك إذا حُمل على معنًى، ثمَّ جاء والمرادُ به معنًى آخر؛ كان للنَّفس تشوُّقٌ إليه.

(1) عبد الرحمن، تفسير القرآن للميداني، ص: 65.
(2) محمود صافي، الجدول: 13/ 138.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 55/ 18.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 155 - 156.

بلاغة الاستعارة في إطلاق الارتقابِ على حال المعاندين في ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾:

الاستعارةُ التَّهكُّميَّة؛ للتَّشنيع على أفعالهم المُخزية

إطلاقُ الارتقاب على حال المعاندين في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ هو استعارةٌ تهكُّميَّة؛ لأنَّ المعنى: أنَّهم ملاقون ما يوعدون لا محالة، وقد حسَّنها اعتبارُ التَّناسُبِ بين ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾، و﴿مُّرْتَقِبُونَ﴾[1].

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

التَّيسير والتَّسهيل:

في التَّيسير فَتحٌ وجريان وتخفيف، وفي التَّسهيل تَليين

جذر التَّسهيل يدلُّ على لينٍ وخِلاف خشونةٍ وغلظة؛ فالسَّهل من الأرض: خلافُ ما غَلُظ منها[2]، وسهلُ الخدَّين، أي: سائلُ الخدَّين غير مرتفع الوجنتين[3]، فمِن هذا الأصل أُخِذ معنى السُّهولة والتَّسهيل؛ فإنَّ مَن سُهِّل له، لا يجد غِلظةً ولا خشونةً ولا صعوبة.

وممّا يدلُّ عليه جذر التَّيسير: انفتاحُ شيءٍ وخِفَّتُه[4]، ومعناهُ المحوريُّ يدورُ حول سريان الشَّيء مستطابًا بلُطفٍ واتِّصال، ومِن ذلك اليُسْر بمعنى: ضدّ العسر؛ ففيه جريان الأمورِ بلا عوائِقَ[5].

وقد أنزلَ اللهُ القرآنَ بلسانٍ عربيٍّ مبين؛ ليسمَعوا كلامَ اللهِ ﷻ ويحفظوه بلا عائق، وليفهموا معانيَه دون كُلْفَةٍ عليهم ولا إغلاق[6]؛ فأوثِر لفظُ (التَّيسير) دون (السُّهولة)؛ لأنَّ التَّيسيرَ متضمِّنٌ هذا كلَّه.

وهذا اليُسرُ يحصل من جانب الألفاظ وجانب المعاني؛ فأمّا من جانبُ الألفاظ؛ فذلك بكونها في أعلى درجاتِ فصاحةِ الكلمات وفصاحةِ التَّراكيب، أي: فصاحة الكلام، وانتظام مجموعها، بحيث يخفُّ حفظُها على الألسنة.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 322.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سهل).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (سهل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (يسر).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (يسر).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 188.

وأمّا من جانب المعاني؛ فَبِوُضوحِ انتزاعِها من التَّراكيب ووَفرةِ ما تحتوي عليه التَّراكيبُ منها من مغازي الغرَضِ المَسوقةِ هي له، وبتولُّد معانٍ من معانٍ أُخَرَ كلَّما كرَّرَ المتدبِّرُ تدبُّرَه في فَهْمِها.

ووسائلُ ذلك لا يُحيطُ بها الوصف؛ ومن أهمِّها: إيجازُ اللَّفظ ليُسرع تعلُّقه بالحفظ، وإجمالُ المدلولات لتَذهبَ نفوسُ السّامعين في انتزاعِ المعاني منها كلَّ مذهبٍ يسمَحُ به اللَّفظُ والغرضُ والمَقام، ومنها: الإطنابُ بالبيان إذا كان في المعاني بعضُ الدِّقَّة والخَفاء.

ويتأتَّى ذلك بتأليف نظم القرآن بلُغةٍ هي أفصَحُ لغاتِ البشَر وأسمَحُ ألفاظًا وتراكيبَ بوَفرة المعاني، وبكَون تراكيبهِ أقصى ما تسمَحُ به تلك اللُّغة، فهو خِيارٌ من خِيارٍ من خِيار[1].

اللِّسانُ واللُّغة:

عُـبِّر عـن اللُّغة بـالـلِّـسـان في القرآن الكريم؛ ولـم يُـعـبَّر بها لأنَّها مشتقَّةٌ من اللَّغو

اللِّسانُ: ما يُنطَقُ به[2]، وهو جارحةُ الكلام، والمقول، أي: آلة القول[3]، وإطلاقُ اللِّسان على اللُّغة مجازٌ شائع؛ لأنَّ أهمَّ ما يُستَعمَل فيه اللِّسانُ الكلامُ[4]، ولأنَّه أبرزُ آلاتِها[5].

واللِّسانُ: الثَّناء[6]؛ ففي سورة الشعراء: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [الشعراء: 84]؛ أي: ثناءً حسنًا، وذكرًا جميلًا وقبولًا عامًّا في الأمم التي تجيء بعدي؛ فأعطاه اللهُ ذلك[7].

واللِّسانُ: الرِّسالة، والإلسانُ: إبلاغُ الرِّسالة، ويُقال: رجلٌ لَسِنٌ بيِّنُ اللَّسَن؛ إذا كان ذا بيانٍ وفصاحة[8].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 188، و189.
(2) الخليل، العين: (لسن).
(3) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (لسن).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 321.
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (لسن).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (لسن).
(7) البغوي، معالم التنزيل: 6/ 118.
(8) ابن منظور، لسان العرب: (لسن).

أمّا اللُّغة فقد اختُلِفَ في اشتقاقها، فذهبَ جماعةٌ من أهل العربيَّةِ إلى أنَّها مشتقَّةٌ من اللَّغو، وهو الذي لا يُعتَدُّ به لقلَّته، ولا يُحتَسَب لدِقَّته، أو لخروجهِ على غير جهةِ الاعتماد من فاعله، كما في قولِ الله ﷻ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [البقرة: 225]؛ أي: ما لم تَقْصِدوه وتَعْتَمِدوه.

ومن هذا قولكَ: ألغَيتُ البابَ من الحساب؛ إذا تركتَه ولم تَعُدَّه[1]، وألغاهُ من العدد؛ أي: ألقاهُ منه[2]، وكلُّ ما أُسقِط فلَم يُعتَدَّ به فهو مُلْغًى[3]، فلمّا طُرِح باللُّغة ما سواها وعطّلت ما كان مِن اللُّغات قبلها، سُمِّيَت بذلك[4].

وقولٌ آخرُ يقول: إنَّها مشتقَّة من اللَّغو؛ وهو الباطل[5]، ويُقال: ألغيتُ الشيءَ: أبطلتُه[6]، ووجهُ الاشتقاق أنَّ هذه اللُّغة أبطلَت ما قبلَها، وجعلته كالمحالِ الذي لا يقال، والباطلِ الذي لا يُسمَع، ومعناهُ قريبٌ من وجه الاشتقاق المذكور في القول السابق[7]، ويقال: ألغيتُ هذه الكلمة، أي: رأيتُها باطلًا، وفضلًا في الكلام وحَشْوًا، وكذلك ما يُلْغَى من الحساب[8].

وقولٌ يقول: إنَّها مأخوذةٌ مِن: لَغا فلانٌ عن الصَّواب وعن الطَّريق، أي: مالَ عنه؛ فأُخِذت مِن هذا؛ لأنَّ هؤلاء تكلَّموا بكلام مالوا فيه عن لُغَةِ هؤلاء الآخرين[9].

وقولٌ يقول: إنَّها مشتقَّةٌ مِن: لَغِيَ بالأمر؛ أي: لَهج به[10]، وأصلُ ذلك مِن: لَغا العصفور؛ إذا صاحَ وصوَّت، ولهجَ العصفورُ بلَغاه؛ أي: بصوته، ومنه قيلَ للكلام الذي يُلْهَج به: لُغة[11].

ويتبيَّنُ ممّا سبقَ سرُّ إيثارِ (اللِّسان) دون (اللُّغة) في هذه الآية؛ وذلك لأنَّ اشتقاقَ اللُّغَة مِن شيءٍ ممّا ذُكِر، لم يُستعمَل في القرآن الكريم، بل استُعمِل (اللَّغو) الذي اشتُقَّت منه اللُّغة[12]، ولم يُستعمَل إلّا في مواطنَ تتكلَّمُ عن الباطل من الكلام والفُحشِ منه، وفضول

(1) الوزير المغربي، أدب الخواص، ص: 121، و122.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (لغو).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (لغو).
(4) الوزير المغربي، أدب الخواص، ص: 122.
(5) الوزير المغربي، أدب الخواص، ص: 123.
(6) الجوهري، الصحاح: (لغو).
(7) الوزير المغربي، أدب الخواص، ص: 123.
(8) الخليل، العين: (لغو).
(9) ابن منظور، لسان العرب: (لغو).
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لغو).
(11) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (لغو).
(12) عبد الجبار فتحي زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 744.

الكلام[1]، وما لا يُنتَفَعُ به[2]، أو كلِّ سقطٍ من قولٍ أو فعل[3]، أو المُطرَحِ من الكلام الذي لا يُعتَدُّ به، ويكونُ من غيرِ عقدٍ وقَصد[4].

فعُبِّر عن اللُّغة باللِّسان في قول الله ﷻ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: 195]؛ لأنَّ القرآنَ منزَّهٌ عن معاني اللَّغو كلِّها؛ فليس فيه باطلٌ ولا فُحشٌ ولا فُضولٌ ولا حشوٌ، ولا ما لا يُنتَفع به، ولا كلمةٌ لا يُعتدُّ بها، ولا لفظٌ غيرُ مقصود.

وعُبِّر عن اللُّغة باللِّسان في قول الله ﷻ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾؛ لأنَّ القرآنَ منزَّهٌ عن معاني اللَّغو كلِّها كما تقدَّم، ولسانَ النَّبيِّ ﷺ منزَّهٌ عن معاني اللَّغو كلِّها أيضًا؛ فلم يَنطِق بباطلٍ ولا فُحشٍ ولا فضولٍ، ﷺ.

التَّذكُّر والتَّفكُّر:

جذرُ التَّفكُّر يدلُّ على تردُّد القلب في الشَّيء؛ فيُقال: تفكَّر، إذا ردَّدَ قلبَهُ معتبرًا[5]، والفِكْر: قوَّةٌ نظريةٌ مطرِّقةٌ للعلم إلى المعلوم، والتَّفكُّر: جَوَلانُ تلك القوَّة بحسب نظر العقل[6]، والمعنى المحوريُّ لجَذرِه: ترتيبُ المعاني الجزئيَّة وتقليبُها للوصول إلى ما تؤدِّي إليه[7].

والذِّكْرُ: الحِفظُ للشَّيء تذكُرُه[8]، وهو خِلافُ النِّسيان[9]، والذِّكْرُ أيضًا: الشَّيءُ يجري على اللِّسان، والذِّكْرُ: جَرْيُ الشَّيءِ على لسانك[10].

والتَّذكُّر يصلحُ لِما هو ضدُّ النِّسيانِ ولمعنى الاتِّعاظ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا تذكَّر فقد يزدجرُ ويُؤمن[11].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: 17]؛ أي: للحفظ والقراءة، والاتِّعاظ والاعتبار[12]، ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: 17]؛ أي: متَّعِظٍ معتبِرٍ خائف[13].

---

(1) البغوي، معالم التنزيل: 8/ 316، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 126، وعبد الجبار فتحي زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 744.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 126.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 80.

(4) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 263، وابن الجوزي، زاد المسير: 1/ 194.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فكر).

(6) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، والفيروزآبادي، البصائر: (فكر).

(7) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (فكر).

(8) ابن منظور، لسان العرب: (ذكر).

(9) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).

(10) ابن منظور، لسان العرب: (ذكر).

(11) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (ذكر).

(12) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 429، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 166.

(13) الواحدي، التفسير البسيط: 21/ 103.

مَـن يـتـذكَّـر ويعتبر قد تفكَّر، ومَن يتفكَّر قد لا يتذكَّر ولا يعتبر

وقال ﷻ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: سهَّلناه حيث أنزلناهُ بِلُغَتِك؛ كي يفهَمَهُ قومُكَ ويتَّعظوا به[1].

فكَوْنُ القرآن عربيًّا تسهيلٌ على النَّبيِّ ﷺ في تبليغ الرِّسالة والتَّذكير، وتسهيلٌ على قومِه بفهمِه عند سماعِه، فكان ذلك أدَعى للتَّذكُّر والاعتبار، وكونُ القرآن عربيًّا يجعَلُ حِفظَه وقراءتَه أيسَرَ عليهم؛ فيجعل التَّذكُّرَ والاتِّعاظَ أيسرَ عليهم؛ فإذا حَفِظوا أو قرؤوا آيةً منه، رُجيَ أن يتذكَّروها فيتَّعظوا بها.

والتَّذكُّر فوقَ التَّفكُّر؛ لأنَّ التَّفكُّرَ طلبٌ، فهو التماسُ الغايات من مَباديها، وتلمُّس البصيرة لاستدراك البُغية، أمّا التَّذكُّر فهو وجودٌ؛ لأنَّه يكون فيما قَد حصل بالتَّفكُّر، ثمَّ غابَ عنه بالنِّسيان، فإذا تذكَّره وجدَهُ فظَفِرَ به[2]، فمنزلةُ التَّذكُّر من التَّفكُّر منزلةُ حصول الشَّيء المطلوب بعد التَّفتيش عليه.

وتبيَّنَ ممّا سبقَ أنَّ الذي يتذكَّر ويعتبرُ قد تفكَّر، وأنَّ الذي يتفكَّرُ قد لا يتذكَّر ولا يعتبر، أي: قد لا يصلُ إلى مرحلة الاتِّعاظ.

ودلَّ ما سبقَ على سرِّ إيثار لفظ (التَّذكُّر) دون (التَّفكُّر) في آيةِ سورة الدُّخان؛ فإنَّ تفكُّرَهُم حاصلٌ بكونِ القرآن عربيًّا؛ فقد كانوا قومًا أولي فصاحةٍ وبلاغة، فإذا سمعوا كلامَ اللّه الذي أعجَزَهم؛ تفكَّروا فيه وإن لم يُريدوا ذلك، وكيف لا يتفكَّرون فيه وقد جاءَهُم على أبيَنِ بيانٍ وأبلغِ بلاغ؟! فلمّا كان تفكُّرُهم متحقِّقًا؛ أوثِر لفظُ (التَّذكُّر)؛ لأنَّه يُرجَى الوصولُ إليه بعد هذا التَّفكُّر.

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 283، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 104، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 66.

(2) ابن القيم، مدارج السالكين: 1/ 440.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"